

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُخْتَرَمُونَ!

مِنْ مَسْئُولِيَاتِنَا الدِّينِيَّةِ نَحْوَ جِسْمِنَا هِيَ التَّسْتُرُ عَلَيْهِ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَبِالتَّالِيِ الْحِفَاطُ عَلَيْهِ مِنَ الْعُيُونِ الشَّرِيْرَةِ وَالْكَلِمَاتِ الْفَاحِشَةِ. وَبِمَا أَنَّ سَتَرَ الْجِسْمِ هُوَ الْتِزَامُ دِينِيٍّ. وَكَذَلِكَ هُوَ مِنَ السُّلُوكِ الْفِطْرِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ.

التَّسْتُرُ وَالتَّحَجُّبُ هُوَ بَرٌّ لِصَالِحِ الْإِنْسَانِ نَفْسِهِ ذَاتِيًّا، فَضْلًا عَنِ نَفْعَةِ الْآخَرِينَ. وَهُوَ مُؤَشِّرٌ عَمَلِيٌّ عَلَى إِحْتِرَامِ الْإِنْسَانِ نَفْسِهِ وَعَلَى الْمَحْرَمِيَّةِ الْخَاصَّةِ بِهِ. حَيْثُ أَنَّ سَتَرَ الْعَوْرَةِ فِي كُلِّ وَقْتٍ، أَوَّلًا؛ هُوَ انْعِكَاسُ الْإِيمَانِ إِلَى الْعَمَلِ، ثَانِيًّا؛ هُوَ انْعِكَاسُ شُعُورِ الْحَيَاءِ إِلَى الْحَيَاةِ، وَثَالِثًا هُوَ انْعِكَاسُ مَفْهُومِ رِعَايَةِ النَّفْسِ إِلَى الْبَدَنِ يَوْمِيًّا. وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ شُعُورَ الْحَيَاءِ خَاصُّ بِالْإِنْسَانِ فَقَطْ. وَمُضَدَّرُهُ بِكَلِمَاتِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْإِيمَانُ؛ الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ. وَحَيْثَمَا يُوَلَّدُ الطِّفْلُ يُعْطَى إِلَى أُمِّهِ أَمَانَةً مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بَعْدَ الْغَسْلِ وَالسَّتْرِ وَكَذَلِكَ إِذَا مَاتَ الْعَبْدُ يُدْفَنُ بِالْكَفَنِ وَيُعْطَى إِلَى التُّرَابِ أَمَانَةً فِي جَوْفِهَا بَعْدَمَا تَمَّ الْغَسْلُ وَرَاءَ السِّتَارِ تَحْتَ الْغِطَاءِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءُ!

وَمِنَ الصَّرُورِيِّ أَنْ يَحْتَرِمَ كُلُّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ بِمَحْرَمِيَّةِ الْآخَرِينَ كَمَا يَجِبُ أَنْ يَعْتَنِي بِخُصُوصِيَّةِ نَفْسِهِ. وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ أَنْ يَحْتَرِمَ مَحْرَمِيَّةَ الْآخَرِينَ كَمَا أَنَّهُ يَسْتُرُ جِسْمَهُ ضِدَّ النَّظَرَاتِ الْخَبِيثَةِ الْمَسْمُومَةِ. وَيَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ لَا يُزْعَجَ أَى

يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيْشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ. وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَلِيمٌ حَيٌّ سِتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ...
"مَحْرَمِيَّةُ الْجِسْمِ وَالتَّسْتُرُ"

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُخْتَرَمُونَ!

يَقُولُ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي قَرَأْتُمُوهَا آنْفًا نَحْوَ التَّالِيِ: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُؤَارِي سَوَاتِكُمْ وَرِيْشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ.﴾¹

وَأَمَّا نَبِيُّنَا الْحَبِيبُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ فِي حَدِيثِهِ الشَّرِيفِ هَكَذَا: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَلِيمٌ حَيٌّ سِتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ...»²

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَاءُ!

إِنَّ جِسْمَنَا مِثْلَ رُوحِنَا نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ الَّتِي وَهَبَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَنَا وَفِي الْوَقْتِ نَفْسِهِ هُوَ أَمَانَةٌ قِيَمَةٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ. وَلِذَلِكَ كُلُّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ مُلْتَزِمٌ بِحِمَايَةِ عَلَى هَذِهِ الْأَمَانَةِ وَبِرِعَايَتِهَا. وَإِنَّ لِحِسْمِنَا عَلَيْنَا حَقًّا، كَمَا كَانَتْ لِكُلِّ نِعْمَةٍ نَمْلِكُهَا عَلَيْنَا حَقًّا. إِذَا يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ الَّذِي دَرَكَ قِيَمَةَ النِّعْمَةِ أَنْ يَسْتَعْدِمَ جَسَدَهُ لِأَدَاءِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ وَالْمُسَاعَدَةِ أَعْمَالِ الْبِرِّ وَالْخَيْرِ. لِأَنَّ سَوْفَ نُحَاسَبُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ، وَلَا نَتَحَرَّكَ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ قُوَّتِنَا الْجِسْمِيَّةِ وَعَنْ جَمَالِنَا الْبَدَنِيَّةِ وَعَنْ مَهَارَتِنَا الْخَلْقِيَّةِ.

شَخِصٍ آخَرَ بِنَظَرَاتِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ. وَلَا بُدَّ أَنْ يَعْرِفَ حَدَّهُ وَحَقَّهُ. هُنَاكَ كَلَامٌ شَائِعٌ بَيْنَ الشَّعْبِ بِأَنَّهُ " النَّظَرُ إِلَى الْجَمِيلَةِ هُوَ ثَوَابٌ (!)" اِعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْكَلَامَ بَاطِلٌ تَمَامًا. وَلَا يُوجَدُ أَى جَوَازٍ وَلَا رُخْصَةٍ فِي دِينِ الْإِسْلَامِ بَلْ هُوَ حَرَامٌ قَاطِبَةً. لِأَنَّ عِنْدَ كُلِّ إِنْسَانٍ حَقُّ الْمَحْرَمِيَّةِ سَوَاءٌ كَانَتْ جَمِيلَةً أَوْ قَبِيحَةً.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُحْتَرَمُونَ!

يُحَدِّدُ رَبُّنَا عَزَّ وَجَلَّ الْمُؤْمِنِينَ فِي هَذَا الْمَوْضُوعِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ نَحْوَ التَّالِي: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾³ ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ...﴾⁴

يَبْدُو مَعَ بَيَانٍ وَاضِحٍ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ الْكَرِيمَتَيْنِ بِأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ هُوَ يَتَوَقَّعُ مِنْ كُلِّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ حَسَاسِيَّةً كَبِيرَةً فِي مَوْضُوعِ الْأَدَبِ وَالْمَحْرَمِيَّةِ. وَهُوَ يُخْبِرُ الْإِنْسَانَ بِأَنَّ صَرْفَ الْبَصَرِ عَنِ الْحَرَامِ وَعَصْنَهُ وَاجِبٌ عَلَيْنَا جَمِيعًا. وَأَمَّا لُبْسُ الْمَلَابِسِ الصَّيِّقَةِ وَالْقَصِيرَةِ غَيْرِ جَائِزَةٍ عَلَى الْإِنَاثِ وَالذُّكُورِ مِنَ الْجِهَةِ الدِّينِيَّةِ وَالصِّحِيَّةِ، لِأَسِيْمًا بِالنِّسْبَةِ لِلرِّجَالِ تِلْكَ الثِّيَابُ الصَّيِّقَةُ تُهَدِّدُ صِحَّةَ الْجِسْمِ. وَلَا تُنَاسِبُ لَوَعِي التَّسْتُرِ بِمَا أَنَّهَا لَا تُوفِّرُ حِمَايَةَ الْمَحْرَمِيَّةِ. وَأَمَّا وَعَى التَّسْتُرِ وَإِحْسَاسِيَّةُ التَّحَجُّبِ هُوَ إِغْلَاقُ الْقَلْبِ وَالْعَقْلِ وَحِمَايَتُهُمَا صِدْدٌ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الْحَرَامِ مِنَ الشُّرُورِ وَالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ إِضَافَةً إِلَى ذَلِكَ تَسْتُرُ الْجِسْمِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعْرَابُ!

الْعِفَّةُ هِيَ فَضِيلَةٌ مُتَفَوِّقَةٌ تُنَاسِبُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ سَوَاءٌ كَانَتْ إِمْرَأَةً أَوْ رَجُلًا أَوْ شَابًّا أَوْ مُسِنًّا. وَأَنَّ حُرْمَةَ الْعِفَّةِ وَالْعِرْضِ وَالشَّرْفِ هِيَ قِيَمَةٌ مُشْتَرِكَةٌ بَيْنَ النَّاسِ. وَاحْتِرَامٌ بِهِذِهِ الْقِيَمَةِ يَجْعَلُ الذُّكُورَ رَجُلًا مُحْتَرَمًا بَيْنَ النَّاسِ كَمَا يَجْعَلُ الْإِنَاثَ إِمْرَأَةً مُحْتَرَمَةً وَعَزِيزَةً بَيْنَ الْخَلْقِ. لِأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ خُلِقَ بِأَحْسَنِ تَقْوِيمٍ وَلِذَلِكَ الْبَشَرُ مُحْتَرَمٌ مُطْلَقًا سَوَاءٌ كَانَ رَجُلًا أَوْ إِمْرَأَةً.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْمُحْتَرَمُونَ!

الْإِهْتِمَامُ بِالْمَحْرَمِيَّةِ هُوَ ضَرْوَةٌ لِلْمَوْقِفِ الْمُحْتَرَمِ وَالْمَسْئُولِيَّةِ تِجَاهَ رَبِّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لِأَنَّ الْمَحْرَمِيَّةَ مِنْ ضَرْوِيَّاتِ التَّقْوَى. إِذَا، دَعَوْنَا لَا نُضَعِفُ الرَّابِطَةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَبِّنَا الَّذِي وَهَبَ لَنَا أَبْدَانَنَا. وَدَعَوْنَا نَعِيشُ حَيَاةً يُحِبُّهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَرَضِيَ عَنْهَا. وَدَعَوْنَا نُذْرِكُ بِأَنَّ جِسْمَنَا تَمِيمٌ وَقِيَمَةٌ لَا مِسَاسَ بِهِ وَكَذَلِكَ رُوحَنَا شَرِيفَةٌ وَمُحْتَرَمَةٌ وَلَا مِسَاسَ بِهَا. وَدَعَوْنَا تَزْرَعُ الثِّقَةَ بِالنَّفْسِ مَعَ شُعُورِ الْمَحْرَمِيَّةِ فِي عَائِلَتِنَا وَخَاصَّةً عِنْدَ أَطْفَالِنَا مُنْذُ صِغَرِهِمْ. وَدَعَوْنَا لَا نَنْسَى لَا يُمَكِّنُ أَنْ نُضْبِحَ مُجْتَمَعًا فَاصِلًا إِلَّا مِنْ تَحْقِيقِ شُعُورِ الْمَحْرَمِيَّةِ مِنْ خِلَالِ حِمَايَةِ قِيَمِنَا الْأَخْلَاقِيَّةِ وَالرُّوحِيَّةِ وَالثَّقَافِيَّةِ.

¹ سُورَةُ الْأَعْرَافِ، 26/7

² رَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِأَبِ الْغُسْلِ، رَقْمُ الْحَدِيثِ: 7

³ سُورَةُ النُّورِ، 30/24

⁴ سُورَةُ النُّورِ، 31/24